بحث نفسي اجتماعي

لماذا لا تكون سعيداً ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو

كثيراً ما يتوق الناس إلى ما ليس في متناول أيديهم ، لا لأنهم يريدون هذا الشيء بذاته ، ولو أنهم يظنون بأنهم سيكونون سعداء إذا حصلوا عليه ، ولكن لأن هناك شيئاً يفتقرون إليه في تركيبهم العقلي والروحي

ومن أوهام الجنس البشري أن يعتقد أن السعادة رهينة بشيء أو مكان أو زمن ؛ أو بأنه يمكن الاستحواز عليها بالمال ، أو بأنها توجد في جهة دون أخرى ، أو بأنها ستأتي حتماً على أجنحة الزمان ، وكل أولئك ـ لعمر الحق ـ من بعض الترهات التي تعتري الناس في طفولة التفكير

السعادة لا يمكن أن تشترى بمال لأنها حالة من حالات العقل — الحالة المستمدة من الداخل موجهة إلى الخارج — وستتبعك إلى كل مكان ، وفي كل وقت وفي كل حالة إذا أنت نظرت إلى الأشياء والحالات التي تحيط بك بعين مميزة فاحصة ، وعندئذ تعرف أن التمييز والتقدير هو الحب ، وأن الحب هو أن تكون سعيداً

وبعد ، فما الأشياء التي تجعلك سعيداً أو شقياً ؟ أنت اليوم تقول إنك سعيد لأن لديك ما كنت تريد . وبعد شهر ستكون شقياً وتود أن تحصل على شيء آخر ، وستكون سعيداً مرة أخرى عند ما يضيء أمامك أمل الحصول على رغبتك الجديدة ؛ وشقياً عند ما ينهار ما بنيت بسبب نكبة ما . والفقر الحقيقي أو الشقاء ليس في أن تمتلك القليل بل هو في أن تشتهي الكثير ، فلكي يكون المرء سعيداً عليه أن يكون قنوعاً فالقناعة كنز لا يفنى

السعادة التي تنبعث من خيط واه إنما هي كرغبات محسوسة معرضة للسقوط والضياع . هذي السعادة مثلها في الخداع كمثل السراب

الرغبة ، والطموح ، والتأميل فيما هو أحسن ، كل أولئك ضروري للتقدم الإنساني ولا سيما إذا فسرت كما يجب أن تفسر فهي مبعث السعادة . ولكنه التفسير الذي يخفف كفة الصواب أو كفة الخطأ في الميزان . فإذا رغبنا في شيء صائب يستحق الاهتمام وجدنا طريقة أو أخرى نحصل بها عليه ويمكننا أن نعيش في الأمل سعداء . وعلى ذلك ، يجب علينا أن نذكر أن ليس هناك شيء مادي يستحق أن نزن كل سعادتنا به ؛ فإذا كانت رغباتك تهدر سعادتك ، فقربلها جيداً وانظر كم منها غير مجد ، ورض نفسك على أن تقذف به بعيداً

لا تكن متتبعاً لأولئك الأغرار الواهمين لأنه ينقصهم العقل ، إنهم يرون قشور الأشياء لا لبابها ، والشيء الذي يعوزهم هو المقدرة على التغلغل في أعماق الأشياء ، أي التفرس والتبصر والاستشفاف

إن المغنطيس الكهربي يجذب الحديد عند ما يسري التيار في وحدانه ، كذلك تجذب الشخصية السعادة عند ما يتدفق تيار عقل ثاقب في شعوره الداخلي . ربما يكون المرء محبوباً من شخص ومكروهاً من آخر ، والاتجاهات العكسية ما هي إلا محض رد فعل لفكرة فردية تتبعها مقارنة للشخص المعين طبقاً للفكر والمقاييس المعينة لرجل بعينه . والمرء يحتمل أن يكون في الحقيقة غير مستحق حب أحد له أو كراهية أحد ؛ أو ربما يستأهل حب كل منهما . ولكن شعورهما المحدود يمنعهما رؤية الحقيقة كاملة واضحة .

وهكذا يواجه الناس الحياة . وغالباً ما تكون التأويلات الشخصية هي التي ترق بالعقول التي لا تتسع لإدراك الأشياء إدراكاً شاملاً ، وبغير ذلك يضيع الكثير من الجمال والسعادة . فإذا أمكن الفرد أن يرى السعادة في شيء فلِمَ لا يمكن أن يراها الجميع ؟ ألم يكن الفرق غالباً في عقل الفرد ؟

أنت لا يمكنك أن تكون سعيداً لأن عندك ما عندك ، ولكن لأنك تحب ما عندك . وقوة الحب والكراهية كامنة في نفسك ، واتجاهك الفردي نحو شيء وسلوكك الشخصية به هي التي يعتد بها

ربما تكون هنا ، أو هناك ، أو في أي مكان ، فإذا أضاء